مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبرانيين ١٣: ١٧–٢١)

يا إخوةُ أطيعوا مدبِّريكم واخضعوا لهم فإنَّهم يسهرون على نفوسِكم سهَرَ مَن سيُعطي حِساباً حتى يفعلوا ذلك بسرورٍ لا آنّين. لأنَّ هذا غيرُ نافعٍ لكم* صلُّوا من أجلنا فإنَّا نثِقُ بأنَّ لنا ضميراً صالحاً فنرغبُ في أن نُحسِنَ التصرُّفَ في كلِّ شيءٍ* وأطلُبُ ذلك بأشدِّ إلحاحٍ حتى أُرَدَّ إليكم في أسرعِ وقتٍ* وإلهُ السلامِ الذي أعادَ من بين الأمواتِ راعيَ الخرافِ العظيمَ بدم العهدِ الأبديِّ ربَّنا يسوعَ* يكمِّلُكم في كلِّ عملٍ صالحٍ حتى تعملوا بمشيئَتِه عاملاً فيكم ما هو مَرضيٌّ لديه بيسوعَ المسيحِ الذي له المجدُ إلى أبدِ الآبدين، آمين.

حول الإنجيل

يُظهر لنا النص الإنجيلي الذي يُقرأ على مسامعنا اليوم شخصيتين فقط، المسيح وزكا. لقد التقى زكا المسيح في أريحا كلقاء الظلمة بالنور، لأن زكّا كان نقيضاً ليسوع. من هو زكا؟ هو رئيس العشَّارين. هو إنسان يعيش حياته من خلال امتصاص حياة الآخرين. ومَن هو يسوع بالنسبة إليه؟ كان يسوع بالنسبة إلى زكا إنساناً مُحبًّا للخطأة، يأكل مع العشَّارين، يحمل أوجاع البشر، وكلامه ليس ككلام سائر الناس.

دخول يسوع لم يكن إلى أريحا وحسب، وإنّما إلى قلب زكا. ودخول يسوع هزّ كيان زكا من الداخل كما يفجّر النورُ الظلام. كان زكا يجهل أنّ ذلك كلّه ممكن، لذا فقد عاش في الظلام. ولا أحد يحب الظلمة إلاَّ لأنّه يجهل خبرة النور. أما زكا فأراد أن يخرج عن مألوفه القديم وأن يتعرف إلى الجديد. أراد زكا أن يختبر علاقة جديدة مع إنسان سمع عنه الكثير فأثار فضوله. أراد أن يتواصل مع واقع آخر. ولأنه كان قصير القامة، سعى أن يرتفع من أرضيته إلى ما هو أعلى من ذاته فأخذ من الجميزة قامة إضافية ليصل إلى قامة ملء المسيح.

العدد ٣/٢٠١٠

الأحد ١٧ كانون الثاني

تذكار أبينا البار المتوشح بالله أنطونيوس الكبير

اللحن السابع

إنجيل السَحَر العاشر

حركة زكا أو تحرّكه، إن شئتم، هو صورة مرئية للصلاة. فالصلاة (وجذرها صلة) هي علاقة وتواصل مع الله وارتفاع إليه. عندما نصلّي تمتد قامتنا الروحية ساعية إلى إقامة علاقة بيسوع وتوثيق ارتباطنا به. ومن المفترض، لتكون صلاتنا ناجحة، أن تقودنا إلى الله دون أن نضيّع الطريق، لأن الإنسان لا يقدر أن يتجه نحو شخص لا يعرف تحديداً مكان وجوده. إذاً كيف نتأكّد أننا بصلاتنا متوجهون إلى

الإنجيل

(لوقا ١٩: ١–١٠)

في ذلك الزمانِ فيما يسوع مجتازٌ في أريحا إذا برجلٍ اسمه زكَّا كان رئيساً على العشَّارين وكان غنيًّا* وكان يلتمِسُ أن يرى يسوعَ مَن هو فلم يكن يستطيعُ من الجمع لأنَّهُ كان قصيرَ القامة* فتقدَّمَ مسرعاً وصعِد إلى جمَّيزةٍ ليَنْظُرَهُ لأنَّه كان مُزمعاً أن يجتازَ بها* فلمَّا انتهى يسوعُ إلى الموضعِ رفع طَرْفَهُ فرآهُ فقال له يا زكَّا أسرِعِ انزِلْ فاليومَ ينبغي لي أن أمكُثَ في بيتك* فأسرعَ ونزَلَ وقبِلهُ فرِحاً* فلمَّا رأى الجميعُ ذلك تذمَّروا قائلين إنَّهُ دخل ليحُلَّ عند رجلٍ خاطئ* فوقف زكَّا وقال ليسوعَ هأنذا يا ربُّ أُعطي المساكينَ نِصفَ أموالي. وإن كنتُ قد غَبَنْتُ أحداً في شيءٍ أَرُدُّ أربعةَ أضعافٍ* فقال له يسوعُ اليومَ قد حصلَ الخلاصُ لهذا البيتِ لأنَّهُ هو أيضاً ابنُ إبرهيم* لأنَّ ابنَ البشرِ إنَّما أتى لِيطلُبَ ويُخلِّصَ ما قد هلكَ.

الله سالكين الطريق إلى حيث هو؟

عند نهاية العشاء الأخير قال يسوع لتلاميذه: «إن مَضَيْتُ وأعدَدْتُ لكم مكاناً آتي أيضاً وآخُذُكم إليَّ حتى حيث أكونُ أنا تكونونَ أنتم أيضاً وتعلمون حيثُ أنا أذهَبُ وتعلمون الطريقَ. قال له توما: يا سيّدُ لسنا نعلَمُ أين تذهَبُ فكيف نقدِرُ أن نعرِفَ الطريقَ. قال له يسوعُ: أنا هو الطريقُ والحقُّ والحياةُ ليس أحدٌ يأتي إلى الآبِ إلاَّ بي» (يو ١٤: ٢–٧).

جواب الرب يسوع واضح ولا يحتاج إلى تفسير. أنا هو الطريق الذي يقودكم إلى الآب. هذا يعني أن الصلاة الناجحة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحضور يسوع. ونحن نلتقي بيسوع حتماً في سر الإفخارستيا، أي بالقداس الإلهي عند تناولنا جسده الطاهر، فيصبح حضوره حقيقة واقعة في داخلنا، يقيم عندنا، كما أقام في بيت زكا، فنستطيع بسهولة الإرتفاع نحوه لأنه تنازل إلينا، كما نستطيع الصلاة إليه والتواصل معه والإرتباط به.

لذلك مَن يقول لنا أنه يصلي في البيت وأن لا حاجة له إلى الصلاة في الكنيسة لأن الله في كل مكان، هو إنسان لا يستطيع التأكيد أن قامته القصيرة ستمكّنه من رؤية يسوع، وأنه يعرف الطريق التي ستقوده إلى الله الذي لا يأتي إليه أحد إلا بيسوع. والإنسان الذي يحتج بالقول إن يسوع هو في كل مكان، وليس فقط في الكنيسة، هو إنسان لا يريد استقبال المسيح في بيته أي في قلبه ليصبح هو المكان الذي يسكنه يسوع فلا يبقى في كل مكان (أي في أي مكان) سوى قلب هذا الإنسان.

الصلاة مسار نحو الله متى بلغنا إحدى محطاته، نجالس يسوع، نفتح له بيتنا وقلبنا وننزع عنا العتاقة فنعطي أولاً نصف ما نملك، لنبدأ بالتحرّر مما يشدنا إلى الأرض. ومتى تذوقنا طعم الحريّة لأن كثافة وزننا الترابي بدأت تنقص، نقارب شفافية الملائكة. بمعنى آخر عندما نتواصل مع الرب بالصلاة في الإفخارستيا تتوازى الصلاة بالقربان وتصبح ذبيحة. هذه الخبرة الجميلة تدفعنا إلى حرية أكبر فنعطي في المرحلة التالية أربعة أضعاف ما أخذناه عن غير حق (وهذا يعني حسابياً أننا سنعطي ما يفوق النصف الباقي من ثروتنا). هذه الكمية الإضافية المطلوبة لن نسددها مما نملك بل مما نحن (أي من ذاتنا). وهذه أيضاً لن تكفي ما يضطرنا إلى أن نستدين من رحمة الرب التي بغزارتها تسد كل عجز وتغطي كل ضعف.

في هذه الحال تصبح الصلاة إيماناً تُعبّر عنه أعمالنا

تأمل

يا له من تصرّف يليق بالتلميذ الصالح!... يا لها من قوّة إلهية: إن رؤية يسوع وحدها قادت زكا إلى الفعل. لم يعط الرب لزكا أي تعليم. حضر أمامه فاجتذب الإيمان قلبه إلى الذي كان يشتاق إليه. لقد حصل أمر مشابه لنازفة الدم. اقتربت من الرب وطلبت منه الشفاء. لم يقبل أن تلمسه بيدها. فجاءت خفية ولمست هدب ثوبه فجذبتها قوة الشفاء من اللمس كالإسفنجة. لم يكن زكا يدرك ماذا يفعل إذ انه كان مسوقاً بالغيرة الإلهية، ملتهباً بالعشق الإلهي الروحي فصعد على الجميزة. لكن الرب كشف له سراً وطلب منه أن ينزل. عرف أعماق نفسه. عرف شوقه المقدّس. انزلْ! تذكّرْ آدم الذي عندما شعر بعريه اختبأ وراء شجرة التين. وأنت الذي تريد الخلاص لا تصعد على الجميزة. ينبغي لي أن أصيّرها يابسة وأزرع غيرها أي الصليب. تلك هي الشجرة المباركة (أي شجرة الصليب) وعليك أن تقود قدميك إليها. تلك هي التي تقود مباشرة إلى السماء. بينما على هذه تشتبك الحية في الأوراق. فيها تختبئ وتولد صغارها. انزل بسرعة! قبل أن تهمس الحيّة في نفسك كما فعلتْ مع حواء التي أغوتها لمذاقة اللذة الحلوة. انزل ومواقفنا. هكذا تجردنا الصلاة من ترابيتنا. هذا التجرّد يحمل المعنى الجوهري للصوم. ومن هنا نفهم ارتباط الصلاة بالصوم كما هو ارتباطها بتناول جسد المسيح ودمه الكريمين أثناء القداس.

إن الصلاة المستمدّة من حضور الله في الإنسان تُحدثُ تحوّلات كيانيّة ملموسة في القلب الملتهب حبًّا، وفي اليد التي تجسد الصلاة بالأعمال وفي الفم الذي يمجّد الله لعظيم مراحمه.

المسيح قد لبستُم

«لأنَّ كُلَّكم الذينَ اعتمَدتُم بالمسيحِ قد لبِستُم المسيحَ» (غلاطية ٣: ٢٧). إلى جانب قراءتنا لهذه الآية في الرسالة إلى أهل غلاطية، فإننا نسمعها كنشيد ليتورجيّ يُرتَّل عوضاً من التسبيح المثلّث التقديس «قدوس الله، قدوس القوي، قدوس الذي لا يموت ارحمنا» في عدد من القداديس على مدار السنة على مثال قداس عيد الظهور الإلهي وقداس الفصح المجيد وغيرهما.

إنّ اللباس مع الغذاء والمسكن شرطٌ أساسيٌ للوجود الإنساني (سيراخ ٢٩: ٢١)، والبَرَكة تضمن الخبز واللباس (تثنية ١٠: ١٨؛ تكوين ٢٨: ٢٠–٢١)، أمّا العقاب فيكون بالمجاعة والعري (تثنية ٢٨: ٤٨). إضافةً إلى ذلك، فإنّ اللباس يعكس حياة المجتمع، إذ إنّه يشكّل، بالنسبة لكلّ خليّة من المجتمع، علامةَ الحياة المنسجمة التي تنشأ عن الشركة في العمل (١ صمو ٢٥: ٤–٨؛ أمثال ٣١: ١٠– ٣١، أعمال ١٨: ٣ و٩: ٣٩)، أو تنشأ عن إدارة حكيمة (أمثال ٣١: ٣٠) أو عن التعاون. إنّ إعطاء المعطف هو علامة أخوّة. هكذا أقام يوناثان عهداً مع داود (١ صم ١٨: ٣–٤)، ذلك لأنّ الرداء يشكّل مع الإنسان عهداً فريداً يعترف به المتحابون (تكوين ٣٧: ٣٣). وتغطية القريب من العري وصيّة من الوصايا الحيوية التي تفرضها العدالة في الجماعة (حزقيال ١٨: ٧)، فإنّ الأمر أكثر من «تدفئة أعضائه» (أيوب ٣١: ٢٠)، بل جعله يولد ثانيةً في حياة الجماعة (إشعيا ٥٨: ٧)، وإفادته بما صنع الله للجميع (تثنية ١٠: ١٨–١٩) وإخراجه من العدم والخواء.

هذا من ناحية، أمّا من ناحية أخرى، فإنّنا في المعمودية ننزع اللباس القديم المظلم ونلبس لباساً جديداً، نلبس المسيح. فإذا كان اللباس في العهد القديم يشكّل بركةً وانسجاماً في الجماعة وعهداً بين الإخوة والأحبّة، فكم بالحريّ اللباس الجديد. إنّ الجماعة المسيحيّة تولد من جديد من جرنٍ واحد، من مياه واحدة، من معمودية واحدة (بحسب دستور الإيمان)، من المسيح الواحد. المسيح لم

قائم هنا! لأني عندما أنظر إليها ينشلّ عملها. أسرع إنزل لأني لا أريد أن أدعك تبقى على الجميزة. أنت خروفي الضال وعنك أبحث. إنزل بسرعة وانتظرني في بيتك. ينبغي لي أن أستريح فيه. اني أستريح حيث يوجد إيمان. أذهبُ حيث المحبة. أنا عارف بما سوف تقوم به بعد قليل. أعرف انك سوف تعطي أموالك للفقراء وتعيد أربعة أضعاف إلى الذين ظلمتهم. إلى مثل هؤلاء الناس (مثلك) أنزل ضيفاً وأنا شاكر مسرور.

نزل زكّا بسرعة وذهب إلى بيته واستقبل يسوع. امتلأ فرحاً «فوقف» لم يمش ولا جلس بل وقف ليظهر ثبات قراره. وقف وتكلّم مندفعاً إلى الجهاد بنفس حارة وقرار لا رجوعَ عنه. كان يعلم أين ينبغي له أن يبذر وأين يحصد. قال: «اني أعطي المساكين نصف أموالي وأردّ أربعة أضعاف إلى الذين وشيت بهم». يا له من اعتراف نقي يخرج من قلب نقي! يا له من اعتراف لا عيب فيه أمام مجد الله المنزّه عن العيب، ينضح بالإيمان ويزهر بالبرّ والعدل! ليؤهلنا إله الكل إلى مثل هذا البر والعدل بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر. الذي يليق له المجد والقدرة إلى دهر الداهرين آمين.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يُعطِنالباساً مادياً لكي يقيم عهداً معنا نحن أحبّاءه، لكنه أعطانا نفسه لباساً. فكما خَلَقنا الله على صورته ومثاله قبل أن نسقط ونشوّه هذه الصورة، هكذا أعاد المسيح إحياءنا بعدما مُتنا بالخطيئة من خلال مياه المعمودية والروح القدس المحيي، مُلبِساً إيّانا الحلّة البيضاء، حلّة عدم الفساد، مُلبِساً إيّانا نفسه.

«المسيح قد لبستم». كم من المعمَّدين يضعون نصب أعينهم أنّهم يلبسون المسيح؟ إنّنا نلاحظ أنّ الجنود الذين يلبسون حلّتهم العسكرية لا يقومون بأيّ عمل يمكنه أن يسيء إلى سمعة هذه الحلّة، كما نرى أيضاً أنّه إذا أخطأ جنديٌّ واحدٌ مرَّةً فإنّ نظرة مَن شاهده يخطئ تتغيّر ليس فقط من ناحية هذا الجندي كفرد، بل إنّ نظرته تتغيّر من ناحية كلّ المؤسسة التي ينتمي إليها. هذا إذا أخذنا مثالاً بشريًّا؛ فكم بالحري إنسان مسيحيّ لابس المسيح في المعموديّة يشاهَد وهو يقوم بأخطاء شتّى مهما تنوّعت أهميّتها. فالمسيحي الذي يزيّن سيارته بشتّى الرموز المسيحية من صليب ومسبحة وسمكة وغيرها لا يمكنه أن يخالف قوانين السير أو أن يرمي النفايات من نافذة السيارة، والمسيحي الذي يزيّن عنقه بالصليب المقدّس ومعصَمه بالمسبحة لا يمكنه شتم الآخرين أو ضربهم أو الكذب عليهم، والتاجر المسيحي الذي تملأ الأيقونات حيطان متجره لا يمكنه ممارسة الغش في مهنته، والفنان المسيحي ينبغي عليه ألاّ يقدّم لمشاهديه ومستمعيه ما لا يليق بمسيحيّته من مَشاهد أو أغانٍ، والأستاذ المسيحي لا يساوم في الحق ولا يسعى إلى رشوةٍ ماديّة أو معنوية (تملّق أو غيره) لكي يحدّد مصير تلاميذه.

الأمثلة في هذا الصدد كثيرة جداً، لكن المهم في كل الموضوع هو ألاّ ننسى أنّنا لسنا أفراداً، إنّما نحن أعضاء في جسد واحد هو جسد المسيح، فلا يمكننا الإساءة إلى هذا الجسد وإلاّ أصبحنا مرضاً عضالاً يجب معالجته أو استئصاله كي لا يؤثّر في الأعضاء الآخرين. كما علينا ألاّ ننسى أنّ كل ما نفعله ينعكس إما سلباً أو إيجاباً على الجماعة الواحدة كلّها. فلِمَ إعطاء الآخرين فرصةً ليقولوا إنّ المسيحيّة أمرٌ والمسيح أمرٌ آخر؟ لِمَ لا نتشبّه بالمسيح الذي نلبسه ونُدعى باسمه؟ هكذا تصبح المسيحيّة دالةً حقاً على المسيح الذي أحبّ الجميع وبذل نفسه عنهم ليخلّصهم من خطاياهم ويقيمهم معه، الأمر الذي نلمسه بدءاً من المعمودية حيث نموت في المياه ثم نقوم لابسين المسيح.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb